المحاور الإجتماعية في تفسير الأمثل

الكُتّاب: مريم علي أحمد عيسى الدقاق (عراق)[1]، الدكتور علي الحواني (عراق)[2]

استلام: ١٤٣٨/٠٦/٠٢ **قبول:** ١٤٣٨/٠٧/١١

المستخلص

تفسير الأمثل تفسير ذو صبغة اجتماعية، يعمد على تطبيق النظرية القرآنية في المجال الإجتماعي، وعرض الأفكار والمباحث الإجتماعية خلال تفسيره للآيات القرآنية بهدف بناء المجتمع على الأسس الإجتماعية التي طرحها القرآن الكريم، وإقامة حياة الجماعة البشرية على أساسها، بما يتطلبه ذلك من علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية، والتوفيق بين الدين الإسلامي وقضايا الإنسان المعاصرة، وإثبات صلاحية العقيدة والقرآن الكريم لحياة الجماعة البشرية، وتلبية حاجات المجتمع المسلم المعرفية، وإيجاد حلول للمشكلات الإجتماعية بالإعتماد على المفاهيم القرآنية ومكافحة الإنحرافات الإجتماعية وإصلاح المجتمع، وقد تمثلت هذه النظرة الإجتماعية في مجموعة محاور كبرى تعبر عن القضايا والمفاهيم الإجتماعية المحورية في حياة المجتمع والأمة الإسلامية، التي قام المؤلف ببيان معانيها ومصاديقها وتحليل أبعادها على هدي القرآن، ومن هذه المفاهيم: الحكومة الإسلامية، والعدالة الإجتماعية، ومكافحة الظلم والإستبداد، وتعيين الوظائف والمسؤوليات في المجتمع المسلم.

الكلمات المفتاحية: المحاور الإجتماعية، الإتجاه الإجتماعي في التفسير، تفسير الأمثل

المقدمة

شهد العالم الإسلامي نشوء الاتجاه الاجتماعي في تفسير القرآن الكريم على يد شخصيات إسلامية رفعت شعار الإصلاح والتجديد أمثال السيد جمال الدين الأسد آبادي،

---

١. ماجستير فرع التفسير وعلوم القرآن، جامعة المصطفىﷺ المفتوحة، قم، ايران، MDD_63@hotmail.com

٢. محاضر في جامعة المصطفىﷺ العالمية، قم، ايران، alialtaher09@gmail.com

والشيخ محمد عبده، وتبعهم آخرون, منهم آية الله ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره «الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل»، وقد سار مؤلفه على منهج اجتهادي جمع فيه بين تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسّنة والعقل وأصول المحاورات الأدبية، وسلك اتجاهًا اجتماعيًا منطلقًا من اعتبار القرآن كتاب هداية يهدف إلى تربية الإنسان، ويوفر السعادة للفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، مستخلصًا المفاهيم الاجتماعية من الآيات اعتمادًا على مجموعة من مباني التفسير الاجتماعي وأسسه تمثلت في استخراج قوانين اجتماعية من القرآن الكريم، واكتشاف أصول النظام الاجتماعي وقواعده فيه، وذكر التفسير العلمي للآيات ذات البعد التكويني، وقد برزت فيه «المباني النظرية والعملية» للتفسير الاجتماعي، كأصالة الفطرة الاجتماعية للإنسانية، وأصالة تقديم الحياة الاجتماعية على الحياة الفردية، وتأثير السلوكيات الفردية على المجتمع وبالعكس، وشمولية هداية القرآن لكافة أبعاد الحياة الإنسانية، وقد جاءت هذه الابحاث الاجتماعية وغيرها، من خلال عمل المؤلف على تحليل المفاهيم والمحاور الاجتماعية التي يثيرها القرآن الكريم.

فرضية البحث

- تفسير الأمثل ذو اتجاه اجتماعي عرض المسائل الاجتماعية في تفسيره للآيات القرآنية، عرضًا يُعالج فيه مشكلات المجتمع المعاصرة، ويعرض النظريات والأفكار الاجتماعية التي تبناها القرآن في محاور اجتماعية كبرى.

أسئلة البحث

- **السؤال الأساسي**
  - ما المحاور الإجتماعية التي اثارها تفسير الأمثل؟
- **الأسئلة الفرعية**
  - مامفهوم الإتجاه الإجتماعي في تفسير الامثل؟
  - ما خصائص الإتجاه الإجتماعي في تفسير الأمثل؟

أهداف المقال

١. اكتشاف المحاور الإجتماعية التي تناولها تفسير الأمثل بالأدلة والنماذج التي تؤيد ذلك.
٢. بيان مفهوم وخصائص التفسير الإجتماعي من خلال تفسير الأمثل.

مفهوم الإتجاه الإجتماعي في التفسير وخصائصه

الاتجاه لغةً كلمة اشتقت من (و، ج، ه) مصدر اِتَّجَهَ، وجمعها اتجاهات، وتأتي بمعنى الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده (ابن منظور، ١٤٢٩، ج٥٣: ٤٧٧٥)، وكذلك بمعنى الميل والنزعة (أحمد مختار عبدالحميد عمر، ١٤٢٩: ٢٤٠٧)، واصطلاحًا بمعنى الهدف الذي يتّجه إليه المفسِّرون في تفاسيرهم، ويجعلونه نصب أعينهم (الرومي، ١٤١٨، ج١: ٢٢).

بعبارة أخرى فإنّ الاتجاه التفسيري يُعبر عن موقف المفسِّر ونظرته ووجهته التي يوليها، ومن هذه الاتجاهات الاتجاه التربوي، والجهادي، والإرشادي، والاجتماعي، والذي يحدد نوع الاتجاه للمؤلف في التفسير هو شياع المباحث والأفكار الخاصة باتجاه معيّن في التفسير كما هو حال تفسير الأمثل الذي تكثر في المباحث الاجتماعية.

وهناك مفهومان للتفسير الاجتماعي:

١. إنّه تفسير يحاول المفسر من خلاله مدّ النظر في أحوال البشر في أطوارهم وأدوارهم ومناشىء اختلاف أحوالهم، من قوة وضعف، وغير ذلك، ثم يتلوه هداية الخلق، أو إصلاح حالهم، أو التشريع لهم، ويميل إلى علم الاجتماع والتاريخ.
٢. التفسير الاجتماعي بمعنى الخضوع للمفهوم الاجتماعي ولمفهوم العصر، ويؤكد المفسر فيه على ممازجة الهدف الديني في القرآن للهدف الاجتماعي. أي إنّه يعتمد على تطبيق النظرية القرآنية في المجال الاجتماعي، وإقامة حياة الجماعة البشرية على أساسها، بما يتطلبه ذلك

من علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية، والأهم عند المفسر التوفيق بين الدين الإسلامي وقضايا الإنسان المعاصرة، من ناحية عرض القيم القرآنية عرضًا اجتماعيًا لإثبات صلاحية العقيدة والقرآن لحياة الجماعة البشرية، لينتهي إلى القول بأنّ الجماعات التي تدين بالقيم القرآنية لابدّ أن تستمد احتياجاتها منه، ويطلق عليه الاتجاه الاجتماعي، واللون الاجتماعي، والاتجاه الهدائي. (الرضائي الإصفهاني، ٢٠١١: ٣٨٣-٣٨٢)

ومؤلف تفسير الأمثل يعتمد المفهوم الثاني الذي يسعى فيه المفسر لإيجاد حلول للمشكلات الاجتماعية بالاعتماد على المفاهيم القرآنية، أما التفسير المبني على أساس علم الاجتماع فلا شأن له به.

خصائص التفسير الإجتماعي في تفسير الأمثل

من خصائص هذا الاتجاه التفسيري المعاصر النظرة الاجتماعية للقرآن الكريم، حيث يعتقد أصحاب هذا الاتجاه بأنّه لايوجد نظام شامل ودستور متكامل أفضل من القرآن الكريم يبين المسائل المرتبطة بالحياة الاجتماعية للإنسان، ولذا كان من خصائص تفسير الامثل العناية بالمسائل الاجتماعية المعاصرة، والعناية الخاصة بالآيات التي تحمل مضمونًا اجتماعيًا أو تربويًا في القرآن والبحث في معرفة السنن الحاكمة في العالم والإنسان والمجتمعات البشرية، والاستفادة من تعاليم القرآن في حل المشكلات الاجتماعية المعاصرة، والسعي لإظهار التناسب بين الدين وحداثة العصر بشكل جدي وإثبات أنّه طريق سعادة الإنسان، يصلح لكل زمان ومكان، وأنّه كتاب حياة قادر على حل مشاكل الإنسان المعاصر، والاهتمام في بيان أنواع من الإعجاز القرآني، والإجابة عن الشبهات في الدين والقرآن والإسلام بصورة خاصة، ومحاربة التخلف والجهل في المجتمع الإسلامي، واستبعاد الأفكار الخرافية والأوهام عن ساحة التفسير وإشاعة الأفكار العقلائية في أوساط الناس، ولم يهتم بالأحاديث الضعيفة والموضوعة كالإسرائيليات. (الحواني، ١٣٩٢: ٧٠-٦٩)

وقد ذكر هذه الخصائص آية الله مكارم الشيرازي في مقدمة كتابه، وذلك لتكوين رؤية واضحة عن تفسيره، وللتأكيد على الاتجاه الذي سلكه حين التأليف، ألا وهو الاتجاه الاجتماعي في التفسير، فقال:

- لما كان القرآن (كتاب حياة) فإنّا لم نركز في التفسير على المسائل الأدبية والعرفانية، بل بدلاً من ذلك عالجنا المسائل الحيوية المادية والمعنوية وخاصة المسائل الاجتماعية، وسعينا إلى إشباعها بحثًا وتحليلاً، وخاصة مايرتبط من قريب بحياة الفرد والمجتمع.
- في ذيل كل آية تناولنا تحت عنوان (بحوث) المسائل المطروحة في الآية بشكل مستقل، كالربا، والرق، وحقوق المرأة، وفلسفة الحج، وأسرار تحريم القمار، والخمر، ولحم الخنزير، ومسائل الجهاد الإسلامي، وأمثالها من الموضوعات، كي يستغني القاريء عن مراجعة الكتب الأخرى في هذه المجالات وعزفنا عن تناول البحوث ذات الفائدة القليلة.
- عرضنا التساؤلات والشبهات والاعتراضات المطروحة حول أصول الإسلام وفروعه بمناسبة كل آية، وذكرنا الجواب عليها باختصار مثل شبهة الآكل والمأكول، والمعراج، وتعدد الزوجات، وسبب الاختلاف بين إرث المرأة والرجل، ودية المرأة والرجل، والحروف المقطعة في القرآن، ونسخ الأحكام، والغزوات الإسلامية، والاختبارات الإلهية، وعشرات المسائل الأخرى، كي لا تبقى أية علامة استفهام عند مطالعة تفسير الآيات.
- أعرضنا عن استعمال المصطلحات العلمية المعقدة التي تجعل الكتاب خاصاً بفئة خاصة من القراء، ولدى الضرورة تناولنا ذلك في هامش الكتاب من أجل استفادة المتخصصين. (مكارم الشيرازي، ١٤٢١، ج١: ١٣-١٢)

المحاور الإجتماعية في تفسير الأمثل

لمّا كان هدف بحثنا كشف الاتجاه الاجتماعي في تفسير الأمثل، نذكر بعض المسائل الاجتماعية الكبرى التي عرضها آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره، لنوضح كيف تناول المؤلف هذه المسائل ووضح معانيها ومصاديقها؟ وكيف حلل أبعادها على هدي القرآن الكريم؟

وقد عبرنا عنها بالمحاور الاجتماعية، وهي تربو على عشرة محاور، وسنستعرض خمسة منها في هذا المقال، هي كالآتي: الحكومة الاسلامية والمسائل السياسية في المجتمع، هوية المجتمع المسلم، العدالة الاجتماعية، مكافحة الظلم والاستبداد, بيان الوظائف والمسؤوليات الاجتماعية. (معرفة، ١٤١٩، ج٢: ٤٧٦-٤٧٥)

١. الحكومة الإسلامية والمسائل السياسية في المجتمع

اهتم تفسير الأمثل بطرح قضية الحكومة الإسلامية باعتبار هذه الحكومة الركيزة التي تسيّر القوانين في المجتمع، وتحفظ حقوق النّاس جميعًا.

فقد ورد لفظ الحكومة أكثر من مائة مرة في تفسير الأمثل، وقد خص لفظ (الحكومة الإسلامية) فيما يزيد عن العشرين مرةً في موارد مختلفة، وقد تناول المؤلف هذا الموضوع اجتماعيًا في ثلاثة امور أساسية:

- الأمر الأول: يتعلق بمرتكزات الحكومة الإسلامية والتي تقوم على الحاكمية المطلقة لله تعالى، ولمن خصهم الله عزوجل بالعصمة من خلقه، مع التأكيد على أركان هذه الحكومة التي تبتني على العلم والقدرة. جاء في تفسير الآية الأولى من سورة الجمعة: تشير الآية أولاً إلى (المالكية والحاكمية المطلقة لله تعالى)، ثمّ تنزّهه من أي نوع من الظلم والنقص وذلك لارتباط اسم الملوك بأنواع المظالم والمآسي، فجاءت كلمة (قدّوس) لتنفي كلّ ذلك عن الله جلّ شأنه، ومن جانب آخر فالآية تركّز على ركنين أساسيين من أركان الحكومة هما (القدرة) و (العلم). (مكارم الشيرازي، ١٤٢١، ج٣: ٣١٤-٣١٣)

وكنموذج لهذه الحكومة الإلهية التي تقوم على العلم والقدرة، وتستمد شرعيتها من الله عز وجل، أشار المؤلف إلى حكومة نبي الله داود وسليمان عليهما السلام قال في تفسير الآية (١٥) من سورة النمل: ذكر هذا المقطع من قصّة هذين النبيّين بعد قصّة موسى عليه السلام ونتيجة للاستعداد الفكري وملائمة المحيط الاجتماعي في عهدهما، قد وفّقا إلى تأسيس حكومة عظيمة، وأن ينشرا بالاستعانة والإفادة من حكومتهما دين الله، لذلك لا نجد هنا أثراً أو خبراً عمّا عهدناه من أسلوب في تلك الآيات التي كانت تتكلم عن الأنبياء الآخرين، وهم يواجهون قومهم المعاندين، وربّما نالوا منهم الأذى والطرد والاخراج من مدنهم وقراهم، فالتعابير هنا تختلف عن تلكم التعابير تماماً. ويدلّ هذا بوضوح أنّه لو كان المصلحون والدعاة إلى الله يوفقون إلى تشكيل حكومة لما بقيت معضلة ولغدى طريقهم معبداً سالكاً، وعلى كل حال، فالكلام هنا عن العلم والقدرة والعظمة، وعن طاعة الآخرين حتى الجن والشياطين لحكومة الله، وعن تسليم الطير في الهواء والموجودات الأخرى لحكومة الله. (مكارم الشيرازي، ١٤٢١، ج١٢: ٢٥) فإذًا هذه الحكومة الإلهية التي نظّمها نبي الله داوود وسليمان عليهما السلام لم يكن قائدها إلا معصومًا كما أنها كانت ترتكز على العلم والقدرة التي وهبها الله سبحانه وتعالى للنبي داود وسليمان عليهما السلام وهذه هي المرتكزات التي يجب أن تقوم عليها كل حكومة تستمد شرعيتها من الله سبحانه وتعالى.

- الأمر الثاني: فيتعلق ببيّان وظائف الحكومة الإسلامية، والتي تقوم على إقامة العدل، وتوفير أجواء الحرية، ومعالجة الاعوجاج الاجتماعي، فقد ورد في مبحث علاقة الدين والسياسة في تفسير سورة النمل على أنّ إقامة العدل وتوفير أجواء الحرية من أهم أسس ووظائف الحكومة الإسلامية، بل أنّها سبب بعثة الأنبياء والرسل، فقال: خلافاً لما يتصوره أصحاب

النظرة الضيقة من أن الدين مجموعة من النصائح والمواعظ أو المسائل الخاصة بالحياة الشخصيّة للإنسان، بل هو مجموعة من القوانين والمناهج الحيوية التي تستوعب جميع مسائل حياة الإنسان وخاصة المسائل الاجتماعية، فقد بُعث الأنبياء لإقامة القسط والعدل كما في الآية (٢٥) من سورة الحديد، إذ يقول سبحانه: «**لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**»، وليضع الأنبياء عن الناس إصرهم «**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأغلال الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**» فيتمتعوا بالحرية كما أشارت إلى ذلك الآية (١٥٧) من سورة الأعراف، والدين رحمة ومنجاة للمستضعفين لتخليصهم من نير المتكبرين الظالمين، والدين أخيراً مجموعة من التعاليم والتربية في مسير تزكية الإنسان والرقي به نحو الكمال (كما أشارت إليه الآية ٢ من سورة الجمعة).

وبديهي أنّ هذه الأهداف الكبرى لا يمكن أن تتحق دون إقامة الحكومة، فمن ذا يستطيع أن يقيم القسط بين الناس بمجرّد التوصيات الاخلاقيّة؟ أو أن يقطع أيدي الظالمين عن المستضعفين، ويضع الإصرِ والأغلال عن يدي الإنسان ورجليه دون الاستناد إلى قدرة شاملة. (مكارم الشيرازي، ١٤٢١، ج١٢: ٢٩)

- الأمر الثالث: فهو بيّان الهدف النهائي من الحكومة الإسلامية، وقد وضح مؤلف تفسير الأمثل ذلك في تفسير الآية (٥٠) من سورة النور بقوله: إنّ مفهوم عبارة «**يَعبُدُونَنِي لَا يُشرِكُونَ بِي شَيئًا**» من الناحية الأدبية سواء كانت جملة حالية أم مستقبلية، هو أن الهدف النهائي إعدادُ حكومة عادلة راسخة الأُسس، ينتشر فيها الحقّ والأمن والاطمئنان، وتكون ذات تحصينات أُسسها العبودية لله وتوحيده على نحو ما ذكرتهُ آية قرآنية أُخرى تذكر الغاية من الخلق (**وَما خَلَقْتُ الْجِنّ وَالْإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ**)، عبادة هدفها السامي تربية البشر وتسامي أنفسهم.

عبادة لا يحتاج الله إليها، وإنّما يحتاج إليها البشر لطّي مراحل تكاملهم الإنساني، وعلى هذا فإنّ الفكر الإسلامي ليس كالأفكار المادية التي تتوخى مكاسب مادية ورفاهية في الحياة، بل تكون للحياة المادية قيمة في الإسلام إن أصبحت وسيلة لتحقيق هدف معنوي سام، فالاهتمام بكون العبادة خاليةً من شوائبِ الشرك نافيةً للأهواءِ الزّائفة، يعني أنّه لا يمكن تحقق هذه العبادة الصافية إلاّ بتشكيل حكومة عادلة، تُدار من قبل المؤمنين الصالحين، والصفة السائدة في المجتمع هي خلوه من الشرك، وبما أنّ الإنسان خلق حرّاً، فإن مجال الإنحراف موجود حتى في أفضل المجتمعات الإنسانية. (مكارم الشيرازي، ١٤٢١، ج١١: ١٣٨-١٣٧)

٢. بيان هوية المجتمع المسلم

يؤكد هذا المحور على إظهار ماينبغي أن يمتاز به المسلم من خلال وصف القرآن الكريم لأصحاب النبي الأكرمﷺ وبذلك نبيّن هوية المجتمع المسلم في القرآن الكريم عندما نبيّن اللبنة التي يبتني عليها هذا المجتمع، ألا وهو المسلم المتكامل، وقد تناول ذلك تفسير الأمثل عند تفسير الآية الأخيرة من سورة الفتح المباركة بقوله: وفي آخر آية وصفٌ بليغٌ لأصحاب النّبي الخاصّين، والذين كانوا على منهاجه على لسان التوراة والإنجيل، وهو مدعاة افتخار لهم إذ أبدوا شهامتهم ورُجولتهم في الحديبيّة والمراحل الأُخرى، كما أنّه درس اختبار لجميع المسلمين على مدى القرون والأعصار، فتصف الآية أصحاب رسول اللهﷺ خلالهم وسجاياهم الباطنية والظاهرية ضمن خمس صفات، إذ تبيّن صفتهم الأولى:

(وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ)، وصفتهم الثانية أنّهم: **(رُحَمَاءُ بَيْنَهُم)**، فهم منطلق للمحبّة والرحمة فيما بينهم كما أنّهم نار ملتهبة وسد محكم بوجه أعدائهم الكفّار، وفي الحقيقة أنّ عواطفهم وأفكارهم تتلخّص في هاتين الخصلتين:

الرحمة" و"الشدّة لكن لا تضادّ في الجمع بينهما أوّلاً، ولا رحمتهم فيما بينهم وشدّتهم على الكفّار تقتضي أن تحيد أقدامهم عن جادّة الحق ثانياً.

ثمّ تضيف الآية مبيّنة وصفهم الثّالث فتقول: (**تَرَاهُم رُكَّعاً سُجَّداً**)، هذا التعبير يجسد العبادة بركنيها الأساسيين: الركوع والسجود على أنّها حالة دائمية لهم، العبادة التي هي رمز للتسليم أمام أمر الله الحق، ونفي الكبر والغرور والأنانية عن وجودهم، أمّا الوصف الرابع الذي تذكره الآية عن هؤلاء الأصحاب فهو بيان نيّتهم الخالصة الطاهرة فتقول: «**يَبتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللهِ وَرِضوَاناً**» فهم لا يعملون رياءً ولا يبتغون من الخلق الثواب، بل هدفهم رضا الله وفضله فحسب، والباعث على تحرّكهم في حياتهم جميعاً هو هذا الهدف ليس إلاّ. (مكارم الشيرازي، ١٤٢١، ج١٦: ٤٩٣-٤٩٢)

فهؤلاء الصحابة الذين رسم لهم الإسلام الحنيف هويّتهم، وصاغها القرآن الكريم على يد الرسول العظيم محمدﷺ هم أفراد المجتمع المسلم كما أراده الله عزّوجل.

ولاشك أنّ مجتمعًا يعيش التراحم والتعاطف، ويعيش الأمن والأمان، والعزة والكرامة الإنسانية هو مايسعى إليه القرآن الكريم وهو صناعة الإنسان والمجتمع الإنساني.

٣. العدالة الإجتماعية

أشار مؤلف تفسير الأمثل إلى ذلك في تفسير الآية (٩٠) من سورة النحل بقوله: العدل هو القانون الذي تدور حول محوره جميع أنظمة الوجود، وحتى السماوات والأرض فهي قائمة على أساس العدل بالعدل قامت السماوات والأرض، والمجتمع الإنساني الذي هو جزء صغير في كيان هذا الوجود الكبير، لا يقوى أن يخرج عن قانون العدل، ولا يمكن تصور مجتمع ينشد السلام يحظى بذلك دون أن تستند أركان حياته على أُسس العدل في جميع المجالات.

ولما كان المعنى الواقعي للعدل يتجسد في جعل كل شيء في مكانه المناسب، فالانحراف والإفراط والتفريط وتجاوز الحد والتعدي على حقوق الآخرين، ما هي إلاّ صور لخلاف أصل العدل، فالإنسان السليم هو ذلك الذي تعمل جميع أعضاء

جسمه بالشكل الصحيح بدون أية زيادة أو نقصان، ويحل المرض فيه وتتبيّن عليه علائم الضعف والخوار بمجرّد تعطيل أحد الأعضاء أو تقصيره في أداء وظيفته، ويمكن تشبيه المجتمع ببدن إنسان واحد، فإنّه سيمرض ويعتل إنْ لم يُراع فيه العدل. (مكارم الشيرازي، ١٤٢١، ج٨: ٢٩٧)

نستنج مما طرحه آية الله مكارم الشيرازي لموضوع العدل في تفسير هذه الآية أهمية العدل في المجتمع الإنساني، وذلك ما يأمر به القرآن الكريم، ونحن إن أردنا التقدم والتطور والازدهار في مجتمعناالإسلامي فلابد لنا من الالتزام بما يأمر به الله تعالى.

٤. مكافحة الظلم والإستبداد

ذكر مؤلف تفسير الأمثل ضرر الظلم على المجتمع باعتباره يقوض الأمن والاستقرار، وكيفية مكافحة ذلك، هذا ما جاء في تفسير الآية ١٤٩-١٤٨ من سورة النساء «**لا يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلّا مَنْ ظُلِمَ**» تحت عنوان الأمر بمكافحة الظلم الذي يقع الإنسان، فقال: إلاّ أنّ الآية الكريمة لم تحرم (القول بالسوء) تحريماً مطلقاً، فقد استثنت حالة يمكن فيها أن يصار إلى الكشف والفضح، وهذه الحالة هي إذا وقع الإنسان مظلوماً حين قالت الآية: (**إِلاَّ مِن ظُلِمَ**) وبهذا الدليل يستطيع المظلوم في مقام الدفاع عن نفسه، أن يكشف فضائح الظالم، سواء عن طريق الشكوى أو فضح مساوىء الظالم أو توجيه النقد له أو استغابته، ولا يسكت على الظلم حتى استعادة حقوقه من الظالم، وحقيقة هذا الاستثناء أنّ الله أراد به أن يسلب من الظالمين فرصة إساءة استغلال حكم المنع والتحريم، ولكي لا يكون هذا الحكم سبباً في سكوت المظلوم عن المطالبة بحقه من الظالم.

واضح من الآية بأنّ عملية الكشف والفضح يجب أن تنحصر في إطار بيان مساوىء الظالم لدى الدفاع عن المظلومين أو لدى دفاع المظلوم عن نفسه، ولكي تسد الآية الطريق على كل انتهازي كاذب يريد إساءة استغلال هذا الحكم بدعوى

وقوع الظلم عليه أكدّت على أنّ الله يراقب أعمال البشر ويعلم ويسمع بكل ما يصدر عنهم من أفعال حيث تقول الآية: «**وَكانَ اللّهُ سَمِيعاً عَلِيماً**»/ (النساء: ١٤٨).

وهذه حقيقة لا يمكن لأي إنسان عاقل أن يتجاوزها، فإذا حلّ الظلم مكان العدل في أي مجتمع كان، حلّ معه انعدام الأمن والأمان، وإذا ما تمت مكافحة ذلك كان له الأثر الفاعل في حياة الفرد والمجتمع وعاش أفراد ذلك المجتع في حالة من الاستقرار والأمن، وهذا مايدعو إليه ديننا الإسلامي الحنيف.

فإذًا كما يأمر الإسلام بالعدل الاجتماعي من جانب، فإنه يدعو من جانب آخر إلى مكافحة الظلم والظالمين، وعدم فسح المجال لانتشار الظلم في المجتمع المسلم لما له من آثار وخيمة، تعتري حياة الفرد والمجتمع ويصعب بعد ذلك اقتلاع جذورها إذا تم السكوت عنها.

٥. بيان الوظائف والمسؤوليات الإجتماعية

ونخص هنا ذكر حقوق المرأة المطلقة، فمن أهم المسؤوليات الاجتماعية تلك المسؤولية الملقاة على عاتق الأسرة باعتبارها اللبنة الأولى لبناء المجتمع.

فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، وإذا انهدمت سببت شرخًا غائرًا في المجتمع، وما أكثر المشاكل التي تحدث بين الزوجين وعلى أساسها يبتني هدم الأسرة بالطلاق وهو أبغض الحلال عند الله تعالى، حينها تكون هذه الأسرة في أمس الحاجة إلى تضميد الجراح وعودة المياه إلى مجاريها بعلاج نافع مفيد، وإن لم ينفع ذلك، فهي بحاجة لنظام خاص يكفل حق كل فرد فيها، وهذا ماسعى إليه الإسلام من خلال الأحكام الشرعية المتعلقة بأحكام الزواج والطلاق وغير ذلك، حتى يستتب أمن الأسرة واستقرارها، وذلك بتوزيع الأدوار والمسؤوليات بين الطرفين، وخص للمرأة حقوق في هذا الشأن حتى يحفظ ما لها من حقوق في الطلاق ممن يريد ظلمها وقهرها كما كان في المجتمع الجاهلي.

وكنموذج على ذلك يشير المؤلف الى أنّ آيات النساء تهدف إلى مكافحة الكثير من الأعمال الظالمة والممارسات المجحفة التي كانت رائجة في العهد الجاهلي،

وفي تفسيره للآية (١٩) من السورة «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا**» يقول: وفي هذه الآية بالذات أُشير إلى بعض هذه العادات الجاهلية المقيتة، وحذر الله سبحانه فيها المسلمين من التورط بها، وتلك هي:

- لا تحبسوا النساء لترثوا أموالهنّ، فلقد كانت إحدى العادات الظالمة في الجاهلية كما ذكرنا في سبب نزول الآية، أنّ الرجل كان يتزوج بالنساء الغنيات ذوات الشرف والمقام اللاتي لم يكن يحظين بالجمال، ثمّ كانوا يذرونهن هكذا فلا يطلقونهنّ، ولا يعاملونهنّ كالزوجات، بانتظار أن يمتن فيرثوا أموالهن، فقالت الآية الحاضرة: السورة «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا**» وبهذا استنكر الإسلام هذه العادة السئية.
- لا تضغطوا على أزواجكم ليهبنّ لكم مهورهنّ، فقد كان من عادات الجاهليين المقيتة أيضاً أنّهم كانوا يضغطون على الزوجات بشتى الوسائل والطرق ليتخلين عن مهورهنّ، ويقبلن بالطلاق، وكانت هذه العادة تتبع إذا كان المهر ثقيلا باهظاً، فمنعت الآية الحاضرة من هذا العمل بقولها: «**وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ**» أي من المهر.
- عاشروهن بالمعاشرة الحسنة، وهذا هو الشيء الذي يوصي به سبحانه وتعالى الأزواج في هذه الآية بقوله: «وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»، أي عاشروهن بالعشرة الإنسانية التي تليق بالزوجة والمرأة، ثمّ عقب على ذلك بقوله: «**فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**».

فحتى إذا لم تكونوا على رضا كامل من الزوجات، وكرهتموهنّ لبعض الأسباب فلا تبادروا إلى الانفصال عنهن والطلاق، بل عليكم بمداراتهنّ ما استطعتم، إذ يجوز أن تكونوا قد وقعتم في شأنهنّ في الخطأ، وأن يكون الله قد جعل فيما كرهتموه خيراً كثيراً، ولهذا ينبغي أن لا تتركوا معاشرتهنّ

بالمعروف والمعاشرة الحسنة ما لم يبلغ السيل الزبى، ولم تصل الأُمور إِلى الحدّ الذي لا يطاق، خاصّة وإِن أكثر ما يقع بين الأزواج من سوء الظن لا يستند إِلى مبرر صحيح، وأكثر ما يصدرونه من أحكام لا يقوم على أُسس واقعية إِلى درجة أنّهم قد يرون الأمر الحسن سيئاً والأمر السيء حسناً في حين ينكشف الأمر على حقيقته بعد مضي حين من الزمن، وشيء من المداراة، ثمّ إنّه لابدّ من التذكير بأن للخير الكثير في الآية الذي يبشر به الأزواج الذين يدارون زوجاتهن مفهوماً واسعاً، ومن مصاديقه الواضحة الأولاد الصالحون والأبناء الكرام. (مكارم الشيرازي، ١٤٢١، ج٣: ١٦١-١٦٠)

من خلال ماجاء من تفسير لهذه الآيات المباركة يتبين الحرص الشديد من جانب المفسر على إبراز الناحية الاجتماعية، والمشاعر والأحاسيس التي ترافق قهر المرأة كما في أيام الجاهلية، وكيف أنّ الإسلام أنقذها، وحفظها، من خلال تشريعاته وأحكامه، ليحفظ بذلك كيان الأسرة، اللبنة الأولى لبناء المجتمع.

هذه خمس نماذج للمحاور الاجتماعية التي وردت في تفسير الأمثل تكشف عن الاتجاه الاجتماعي في تفسير الأمثل، وعن مدى استفادة المؤلف من المفاهيم الاجتماعية في الآيات الكريمة، واستثمارها لتأسيس مجتمع يقوم على حاكمية الله، وإقامة العدل، والبُعد عن الظلم والاستبداد، ورعاية حقوق الآخرين، وحل مشكلات المجتمع على هدي القرآن الكريم، لإيصاله لحالة من الكمال في الدنيا، ولبلوغ السعادة في الآخرة.

الخاتمة

- التفسير الاجتماعي بمعنى الخضوع للمفهوم الاجتماعي، وممازجة الهدف الديني في القرآن للهدف الاجتماعي والتوفيق بين الدين الإسلامي وقضايا الإنسان المعاصرة، وعرض القيم القرآنية عرضًا

اجتماعيًا لإثبات صلاحية العقيدة والقرآن لحياة الجماعة البشرية، وإيجاد حلول للمشكلات الاجتماعية، هو الاتجاه الذي اتسم به تفسير الأمثل، وقد برزت خصائص هذا الاتجاه من خلال نظرة المؤلف الى القرآن على أنّه كتاب حياة عالج المسائل الاجتماعية، وعرضه التساؤلات والشبهات المطروحة حول الإسلام والإجابة عنها، واتباعه الأسلوب العصري واعراضه عن البحوث قليلة الفائدة وعن المصطلحات العلمية المعقدة.

- عرض تفسير الأمثل المسائل الاجتماعية ضمن محاور كبرى منها: الحكومة الإسلامية والمسائل السياسية في المجتمع، هوية المجتمع المسلم، العدالة الاجتماعية، مكافحة الظلم والاستبداد، بيان الوظائف والمسؤوليات الاجتماعية، وقد وضّح المؤلف معانيها ومصاديقها وحلل أبعادها على هدي القرآن الكريم.
- طرح قضية الحكومة الإسلامية اجتماعيًا في ثلاثة أمور:
  - مرتكزات الحكومة الإسلامية وهي الحاكمية المطلقة لله تعالى، وعصمة القيادة.
  - بيان وظائف الحكومة الإسلامية، كإقامة العدل، وتوفير أجواء الحرية.
  - بيان الهدف النهائي من الحكومة الإسلامية كإعداد حكومة عادلة راسخة الأُسس، تنشر الحقّ والأمن والاطمئنان، وأُسسها العبودية لله وتوحيده.
- استوحى مؤلف تفسير الأمثل هوية المسلم من وصف القرآن للصحابة الكرام الذين تربوا على نهج القرآن ويد الرسول العظيم محمدﷺ حيث وصفتهم الآيات بالتراحم والتعاطف، والأمن والأمان، والعزة والكرامة الإنسانية.
- استنتج مؤلف الأمثل من تفسير بعض الآيات أنّ العدل قانون شامل لجميع أنظمة الوجود, والمجتمع الإنساني جزء من هذا الوجود الكبير،

وكما يأمر الإسلام بالعدل الاجتماعي فإنّه يدعو إلى مكافحة الظلم والظالمين، لما له من آثار وخيمة، تعتري حياة الفرد باعتباره يقوض الأمن والاستقرار.

- نلحظ في تفسير الأمثل بيان الوظائف والمسؤوليات الاجتماعية للأفراد، ومنها ما يخص الأسرة كحقوق المرأة المطّلقة التي حددها الإسلام من خلال الأحكام الشرعية المتعلقة بأحكام الزواج والطلاق وغير ذلك.

قائمة المصادر

١. **القرآن الكريم**.
٢. أحمد مختار عبدالحميد عمر (١٤٢٩). **معجم اللغة العربية المعاصر**. القاهرة: عالم الكتب.
٣. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤٢٩). **لسان العرب**. بيروت: دار صادر.
٤. الحواني، علي (١٣٩٢ش). **المنهج التاريخي في التفسير «دراسة نقدية»**. رسالة دكتوراه.
٥. الرضائي الإصفهاني، محمد علي (٢٠١١). **مناهج التفسير واتجاهاته: دراسة مقارنة في مناهج تفسير القرآن الكريم**. تعريب: قاسم البيضائي. بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.
٦. الرومي، فهد عبدالرحمن (١٤١٨). **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**. بيروت: مـؤسسة الرسـالة.
٧. معرفة، محمد هادي (١٤١٩). **التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب**. مشهد: الجامعة الرضوية.
٨. مكارم الشيرازي، ناصر (١٤٢١). **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**. قم: مدرسة الإمام على بن أبى طالب عليه السلام.